المصطلح العربي بين دقة الوضع وانحسار التداول

د. عبد القادر سلامي
جامعة تلمسان – الجزائر
sellami_abdelkader@yahoo.fr

× ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى كشف الخطر المحدق بلغتنا العربية من جهة التداول على الرغم من دقة الاصطلاح والمصطلح عند الأوائل، وذلك باستنطاق نماذج من تخصيص الدلالة في كتب اللغة ومعاجمها، بما يمثّل خطوة رائدة من عمل الأسلاف.

1- الاصطلاح والمصطلح:

يُقال اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه، وتصالحوا: اصطلحوا[1].

أمّا الاصطلاح، فيعني: اتّفاق القوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن وضعه الأوّل أو معناه اللغوي المستعمل عادة إلى معنى آخر خاص يصطلح عليه ، لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها[2]، وعلى هذا فالمصطلح (*) هو اللفظ الذي يتفق العلماء على اختياره ليدل على شيء محدود في عرفهم، يتميز به من سواه، فينتقل من معناه اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي.

وقد التصق الاصطلاح بالمواضعة، ودلالتها إلى الاصطلاح أميل وهي تعني معناه، وهو مذهب ذكره ابن جنيّ (ت 392هـ)، فقال: "إنّ أصل اللغة لابّد فيه من المواضعة... وذلك كأنْ يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سِمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مُسمّاه، ليمتاز من غيره،

---

[1]- المعجم الوسيط، 520/1، مادة(صلح).

[2]- التعريفات، ص 44.

(*) (المصطلح) في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلح) من مادة (صلح)، وقد حددت المعاجم العربية دلالة هذه المادة بأنّها ضد "الفساد" ودلت النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعني أيضا : الاتفاق (معجم مقاييس اللغة، 303/3، مادة (صلح). وبين المعنيين تقارب دلالي فإصلاح الفساد بين القوم لا يتمّ إلاّ باتفاقهم أما الفعل (اصطلح) فقد ورد في المعاجم العربية على أنه إزالة الخلاف وأصلحوا على الأمر: تعارفوا عليه. ينظر: القاموس المحيط، 243/3، مادة (الصلاح).

وليُغني عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخفّ وأسهل من تكلف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله" [1].

وهو أمر ذكره التاج السبكي (ت777هـ) في شرح منهاج البيضاوي، فقال: "الوضْعُ عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء ؛ بحيث إذا أطلقَ الأوَّلُ فُهِم منه الثاني. قال: وهذا تعريفٌ سديدٌ، فإنّك إذا أطلقت قولك "قائمٌ زيدٌ" فُهم منه صُدُور القيامُ منه" [2].

وهو ما عبر عنه ابن خلدون (ت 808هـ) بقوله: "لما كانت العرب تصنع الشيء لمعنى على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها، فرق ذلك عندنا، بين الوضع والاستعمال، واحتجاج الناس النّاس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه من خيل بالأشهب، وفي الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلّها لحنا وخروجا عن لسان العرب"[3]، الأمر الذي يدلل على أنه في العربية اصطلاحات كثيرة بعضها عام وبعضها خاص، وكلّها تدخل ضمن إطار تطور المعنى من الإطلاق(*) إلى التقييد(*) ومن التعميم(*) إلى التخصيص(*).

1- الخصائص، 44/1.

2- المزهر، 38/1.

3- المقدمة، ص 549.

(*) هو أن يذكر الشيء باسمه لاتقرَنُ به صفة، ولا شرْط، ولا زمانٌ، ولا مكانٌ، ولا عددٌ ولا شيء يشبه ذلك. (ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200 و الكليات، 217/1، مادة (الإطلاق). أي ذلك اللفظ المجرّد ممّا يعيّنُ المعنى والذي يصحُّ وقوعه على مدلوله دون اجتماع تلك الشروط والصّفات، وهو نوع من دلالة الألفاظ. (ينظر: رسالتان في اللغة ، ص 70 وينظر: المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص217.

(*) هو أن يُذكر الشيء موصولاً بقرينٍ من بعض ما ذكرناه من شروطٍ وصفاتٍ ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى. (ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200 ورسالتان في اللغة، ص 70). فقد لاحظ اللغويون أنّ هناك نوعاً من الألفاظ لايصحّ وقوعه على مدلوله مالم تجتمع له شروط أو صفات ؛ فهذا المقيّد ، وهو نوع من دلالة الألفاظ (ينظر: المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص 217). ومن ذلك قول القائل :" زيدٌ ليثٌ " مشبِّهاً إيَّاهُ بليث في شجاعته. فلو قال: "هو كالّليثِ الحَربِ" فقد زاد "الحَرب" وهو الغضْبان الذي حُربَ فريستَهُ، أي سُلِبها. فإذا كان كذا كان أدهى له. ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200.

(*) أي تعميم الخاص ويتمّ ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه، أو نقله من معنى الخاصّ الدّالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمل؛ (ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 218 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص289. بحيث" تُستعمل الكلمة الدّالّة على فرْدٍ أو على أفراد الجنس أو أنواعه للدّلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كلّه". لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 375 والتطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص 117.

(*) على نحو ما سنفصّل الحديث عنه في حينه تعريفاً وتطبيقاً.

وكلا المصدرين (اصطلاح) و(مصطلح) لم يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أو في المعاجم العربية القديمة العامة ومع تكوّن العلوم في الحضارة العربية الإسلامية تخصصت دلالة كلمة (اصطلاح) لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصّص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصّص، وبهذا المعنى أيضا استخدمت كلمة "مصطلح" وأصبح الفعل (اصطلح) يحمل أيضا هذه الدلالة الجديدة المحدودة [1].

ويطلق على المصطلح في اللغات الأوروبية المختلفة كلمات تكاد تكون متّفقة من حيث النطق والإملاء، وهي الكلمات: "term" في الإنجليزية والألمانية و" terme " في الفرنسية و"termine" في الإيطالية و"termino" في الإسبانية" و"termo" في البرتغالية، وغيرها. وهذه الكلمة المشتركة في هذه اللغات تجاوزت الإطار اللغوي القومي بل ويعدّها بعض الباحثين مثالاً طيّباً للعالمية في داخل الحضارة الأوروبية[2].

ومصطلحات كل علم تالية له في الوجود بالضرورة، فبعد أن يوجد الشيء، يحتاج إلى تسميته، فيختار له علماء الأمّة من ألفاظ اللغة اللفظ الذي يناسبه على أساس أن العلاقة بين المعنى اللغوي وهو الأصل والمعنى الاصطلاحي، وهو الدلالة الجديدة العارضة.

فـ"السّكون"، لغة يعني ضدّ الحركة[3]، أما في عرف الصوتيين، فإنّه يطلق على الصوت الذي لم يدخل التركيب[4].

وكذلك "البناء" يقصد به في اللغة ضم الشيء بعضه إلى بعض، وهو نقيض الهَدْم[5] أمّا عند علماء النحو، فالمقصود به "لزوم الكلمة حالة واحدة من الشكل لا تتغير بتغير العامل مطلقا، ونقيضه الإعراب"[6].

و"الاشتقاق" في عرف فقهاء العربية صوغ كلمة من أخرى بتغير بعض أحرفها مع التناسب في المعنى[7] في حين يدل في اللغة على أخذ شِقّ الشيء[8].

1- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 8.
2- المصدر السابق، ص 9.
3- معجم مقاييس اللغة، 88/3، مادة(سكن).
4- ينظر: سر صناعة الإعراب، 1985م، 7/1.
5- معجم مقاييس اللغة، 302/1، مادة (بنى) والقاموس المحيط، 307/4، مادة (البنى).
6- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص26، مادة (البناء).
7- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 346/1.
8- أساس البلاغة، ص 334، مادة (شقق).

فأنت تلحظ العلاقة الوطيدة بين المعنى اللغوي لكل لفظة من هذه الألفاظ ودلالتها الاصطلاحية في العلم الذي وضعت فيه. ويأتي الاصطلاح والمواضعة عادة في مقابل التوقيف(*).

والمصطلح ركن أساسٌ في كل علم، إذ به تسهل الدراسة، ويتيسر تبادل الآراء والأفكار بين علماء الأمة والواحدة، وبينهم وبين غيرهم من علماء الأمم الأخرى. وبالمصطلح يكون التدوين والتأليف ليتم التعاون العلمي بين علماء العالم، ولينتفع الخلف، بمجهود السلف، وعلى ذلك يقوم علم المصطلح، الذي يعدّ من أحدث علم اللغة التطبيقي كونه، يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها [1].

2- نماذج من تخصيص الدلالة:

يقوم تخصيص الدّلالة بتحويل مجالها من المعنى العام أو الكلّي إلى المعنى الجزئي، ويسمّى أيضاً بتقليص الدلالة. ويعني أيضاً قصرُ المعنى العامّ على بعض أفراده وتضييق شموله[2]، ذلك أنّ مدلول الكلمة يتغيّر تبعاً للحالة التي يكثر فيها استخدامها. فكثرة استخدام اللفظ العامّ في بعض ما يدلّ عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصُر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله فيكسب دلالته المركزية ظلالاً جديدةً تؤدّي إلى تخصيص معناها في أغلب الأحيان[3].

وقد تنُوولت هذه الظاهرة في الدراسات الدلالية القديمة بما يكفل تعريفها والتمثيل لها.

(*) الواو والقاف والفاء أصل واحد يدلّ على تمكث في الشيء، ثمّ يقاس عليه منه وقفت أقفُ وُقُوفاً، ووقفتُ وَقفي، ولا يقالُ أوقفتُ إلاّ أنهم يقولون للذي يكونُ في شيء ثمّ ينزعُ عنه: قد أوقفَ. (ينظر: معجم مقاييس اللغة، 135/6، مادة (وقف). أما في الاصطلاح ، فهو مذهب يقرن بالوحي والإلهام في نشأة اللغة الإنسانية على أنها من عند الله، قال به الأخفش الأوسط (ت215هـ) وأبو علي الفارسي (ت377هـ) وابن جنّي (ت392هـ) في بعض أقوالهم، وابن فارس (ت395هـ) مدافعا عن مذهب ابن عباس(ت68هـ)، رضي الله عنه. (ينظر: الخصائص، 41/1 والاقتراح في أصول النحو، ص8 وابن جني: الخصائص، 40/1، 47، والصاحبي في فقه اللغة، ص 36. سار على هذا المذهب جمع من الفقهاء واللغويين عرض لهم السيوطي (ت911هـ) بالتفصيل، وبسط آراءهم، وما جاءوا به من أدلة نقلية وعقلية. ينظر: المزهر، 1/7-14.

[1]- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص19.

[2]- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص219 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 288.

[3]- ينظر: دلالة الألفاظ، ص 107 وعوامل التطور اللغوي، ص135.

ومن هذا النّحو عند ابن قتيبة (ت276هـ) (اللَّبَنُ). فدلالة اللَّبَن عامّة بينما تختصُّ كلمات أخرى بدلالات أضيق وأدقّ. فـ(الصَّريف) للحارّ منه حينَ يُحْلَبُ، فإذا سَكَنَتْ رُغْوَتُه فهو(الصَّريحُ)، فإذا لم يُخالِطْه الماءُ، حُلْواً كانَ أو حامضاً، فهو (المَحْضُ)، فإذا أخَذَ شيئاً من التغيُّر فهو (الخَامِطُ)، فإذا حَدَى اللِّسَانَ فهو (قارصٌ)، فإذا خَثُرَ فهو (رَائِبٌ)، فإذا اشتدَّت حُمُوضَتُه فهو (حَارِزٌ) [1]. وهو ما عبّر عنه السيوطي (ت 911هـ) بـ (ما وُضع عاماً واستعمِل خاصّاً ثمّ أفرد لبعض أفرَاده اسمٌ يخصّه). ومعنى ذلك أن يكون اللفظ في أصل وضعه دالاً على معنى عامٌ كالبُغْض، ثمّ يكون لإحدى حالاته لفظ خاصٌ كالفِرْكِ وهو البُغض بين الزَّوجين خاصة. والحديث عام، فإذا كان بالليل كان سَمَراً. والسير عامٌّ، فإذا كان بالليل فهو السُّرَى[2].

وورد في باب (شدّة الصوت وبُعْد ذَهَابه وما يعمّه) من المخصص أنّ الصَّوْتَ في عرف ابن جنّي(ت392هـ): مذكّر وهو الجَرْسُ. فأمّا قوله:

يا أيُّـها الرَّاكِبُ المُزْجِيُّ مَطِيَّتَـهُ سائِلْ بَنِي أسَـدٍ هذه الصَّوْتُ

فإنّه أنَّثَ على معنى الصَّيْحَة. أمّا صَاتَ صَوْتاً وصوَّتَ به تصويتاً في مفهوم صاحب العين، فَنَادَيْتُ ودَعَوْتُ وصِحْتُ. والصَّخَبُ عنده: شِدَّةُ الصَوْت واختلاطه. والنّداءُ في عرف ابن دريد: بُعْدُ الصَّوْتِ، أي مداه. أمّا إذا ارتفع صَوْتُ الرَّجُل واشتدَّ قيل: أصْلَقَ، وإذا ارتفع صَوْتُه بإنشاد قيل: صَدَحَ. والنَّدِيُّ: البعيد مدى الصَّوت، وهو مذهب ابن السكيت. أمّا الوَاعِيَةُ كما ذكر ابن الأعرابي، فالصُّراخ على الميِّت ولا فِعل له. والقديدُ والقَدْقَدَةُ: صوتٌ كالحفيف، وهو قول للأصمعي (ت216هـ)[3].

1- ينظر: أدب الكاتب، ص 168 والأمالي في لغة العرب، 307/2. ومن هذا النّحو عند الثعالبي (المَشْيُ). فدلالة المَشْي عامّة،وتختصّ كلمات أخرى بدلالات: (الحَبْو) للرّضيع، و(الحَجَلان) للغُلام يرفعُ رِجْلاً ويمشي على أخرى، و(الخَطَران) للشَّابّ يهتزُّ نشاطاً، و(الدَّلَفُ) للشيخ يخطو رويداً ومقاربَتُه الخَطو، و(القَزَلُ) للماشي في عَرَج، و(الرَّقَلُ) مِشْيَةٌ من يجرُّ ذُيُوله ويَرْكُضُها بالرِّجْل، و(الاختيال) و(التَبَخْتُر)، و(الهَرْوَلَة)، و(النَّهَادي) وغيرها من أنواع المشي. (ينظر: فقه اللغة وسرّ العربية، ص204-205 والمخصص، 98/3-112 والفرق لثابت بن أبي ثابت، ص 94، 96 والأمالي في لغة العرب، 46/2، 289. وممّا جاء في هذا الأخير: "الهَدَجَانُ: مشيُ الشَّيْخ إذا أسْرَعَ". المصدر السابق، 191/1.

2- ينظر: المزهر، 1/ 433 وتهذيب إصلاح المنطق، ص 37، 294، 541 و: علم اللغة وفقه اللغة، ص 153. والجدير بالذكر هنا أنّ أبا عليّ القالي سمّاه الدَّلج أو الدَّلْجَة والإدلاج : فالدَّلجُ والدَّلْجَةُ : سَيْرُ آخر اللَّيْل (أو اللّيل كلّه)، والإدلاجُ : سَيْرُ أوّله. ينظر: الأمالي في لغة العرب، 13/1.

3- المخصص، 130/2- 131 والفرق لقطرب،ص 175، (باب الأصوات) وينظر: العين، 146/7، مادة (صوت) وجمهرة اللغة، 245/3 ولسان العرب، 57/2-58، مادة (صوت) و397/10، مادة (وعي) وفقه اللغة وسر العربية، ص 221-222، فصل (في تفصيل الأصوات الشديدة) والقاموس المحيط، 333/1، مادة (الفديد).

وقد ذكر ابن دريد (321هـ) في باب (الاستعارات) أنّ "رثُّ كلّ شيءٍ: خسيسُه، وأكثرُ ما تستعمله العربُ فيما يُلبَسُ أو يُفترَشُ"[1]. و"الطمَّة: القطعة من اليَبيس. ويُقال: بأرْض فلانٍ طمَّة من الكَلأ. وأكثرُ ما يُوصَفُ بذلك اليَبيسُ، وكلُّ شيء تجاوَز القدْرَ فقد طمَّ وهو طامٌّ"[2].

وذكر المبرّد (ت 285هـ) أنّ أكثر أهل اللغة على أنّ العِهْن: الصّوف الملوَّنُ. أمّا الأصمعي، فقال:كلُّ صُوفٍ عِهْنٌ [3].

ويقول الفارابي (ت 339 هـ) بشأن التخصيص: "والاسم الذي يُقالُ بتواطؤٍ، هو الاسم الواحد الذي يُقال من أوّل ما وُضِع على أشياء كثيرة ويدلّ على معنى واحد يعمّها، أو يُقال على أمور كثيرة، وحدُّ كلٍّ منها، المساوية دلالته لدلالة ذلك الاسم، هو بعينه حدّ الآخر"[4]، وهو ما عبّر عنه بـ (العامُّ المخصوص) أي ما وضِع في الأصل عامّاً، ثمّ خصَّ في الاستعمال ببعض أفراده . وقد رأى له مثالاً غاية في الحُسْن، وهو لفظ (السَّبْت) فإنّه في اللغة الدَّهر، ثمّ خُصَّ في الاستعمال لغة بأحَد أيّام الأسبوع. وإنّما سمّي سَبْتاً، لانقطاع الأيّام عنده، وهو فردٌ من أفراد الدّهر[5].

أمّا ابن فارس (ت 395 هـ)، فيعرّف الظّاهرة في (باب العموم والخصوص) من الصاحبي بقوله: "أمّا الخاصُّ فهو الذي يتحلّلُ فيقعُ على شيءٍ دون أشياءَ. وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿واتَّقُون يا أولي الألْبَاب﴾[6]، فخاطبَ أهل العقل".[7] وأمّا الثعالبي، فكان له فضل التمثيل لها في فصل (في الاختصاص بعد العموم) بعد قوله: إنّ "العربُ تفعلُ ذلك، فتذكر الشيء على العموم، ثمّ تخصّص منه الأفضل فالأفضل، وفي القرآن: ﴿حَافِظُوا على الصَّلَوَات والصَّلاة الوُسْطى﴾،[8] وإنّما أفرَد الله الصَّلاة الوسطى من الصَّلاة وهي داخِلَةٌ في جُمْلتها، وهي منها، للاختصاص والتفضيل"[9].

---

[1]- جمهرة اللغة، 45/1، مادة (رثّ).
[2]- المصدر السابق، 109/1، مادة(طمّ).
[3]- الكامل في اللغة والأدب، 92/2 والمزهر 428/1.
[4]- العبارة، ص 20.
[5]- المزهر، 427/1 وتهذيب إصلاح المنطق، ص 42.
[6]- الآية 197 من سورة البقرة.
[7]- الصاحبي في فقه اللغة، ص 214.
[8]- الآية 238 من سورة البقرة.
[9]- فقه اللغة وسرّ العربية، ص 345.

وقد ساق الثعالبي (ت 429هـ) في "فقه اللغة وسرّ العربية" أمثلة لما وُضع واستعمل عامّاً ليمتدّ إليه التخصيص بعد ذلك ويبقى مع ذلك على عمومه. وهو المقصود، على ما يبدو، مما سمّاه السيوطي بـ(العامّ الباقي على عمومه) [1]. ومن ذلك ذلك قوله في باب(الكلّيات) مثلاً : كلُّ ما عَلاكَ فأظلّك فهو "سَماءٌ". و"كلُّ أرض مستوية فهي "صَعيدٌ"، وكلُّ بناءٍ مُربَّع فهو"كعْبَةٌ"، وكلُّ بناءٍ عالٍ فهو "صَرْحٌ"[2]؛ ثمّ أصبحت السّماء تُقال في "سقف البَيْت" لارتفاعه[3]، ودلالة الصّعيد جمعها صُعُدٌ وصُعُدَاتٌ خصّصت للتُّراب أوْ وَجْهِ الأرض والطّريق[4] والكعبةُ ألصِقت بالبيت الحَرَام – زاده الله تشريفاً – والغُرْفَةُ[5]. كما أطلق الصَّرْح على "القصْر"[6].

كما أنّ معاجم اللغة تكاد تتّفق على أنّ القزَل أسْوَأُ العَرَج وأشدّه مع دقة السّاقيْن لذهاب لحمهما. يقال: قَزِلَ يقْزَلُ قَزَلاً وقَزِلَ يقْزَلُ قَزْلاً، وهو أقْزَلُ، ولا يكون كذلك حتى يجمع بين الصِّفتين السّابقتين وأن يمشي مِشية المقطوع الرِّجْل والعُرْجَان والمتُبخْتِر. والأقْزَلُ: حيَّةٌ أو ضربٌ من الحيّات، ويقال ذلك للذئب واستعاره بعضُهم للطائر[7]. وعلى وعلى ذلك فكلّ دابّة أو هامّة أو طائر ساءَ عَرَجُه ودقّت ساقه أو ساقاه ومشى مِشْيَة المقطوع الرّجل أو تبَخْتَر في مَشْيه فهو أقْزَلُ، وهو ما سكت عنه ابن سيده، وإن قصره على ضرب من الحيّات[8] لم يتبيّن كنهه وفضّل إيراده مطلق الدّلالة، فلعلّ مردّ ذلك إلى أنّه لم يرَ العرَجَ أو ما ساء منه ممّا يمكن أن تحيط به كلمة "الأقزَل"، فقال في (صفات القدَم وأعْراضِها): "وقد عَرَجَ أسْوأ العَرَج: إذا لم يَكُنْ خِلْقة وأصابهُ في رِجْلِه شيءٌ فمشى مِشْيَةَ الأعْرَج، وعَرِجَ: صار أعْرَج وتعارَجَ: حكَى مِشْيَة الأعْرَج وفيه عُرْجَة"[9].

---

[1]- المزهر 426/1.

[2]- فقه اللغة وسرّ العربية، ص 26 وينظر: أدب الكاتب، ص 85 والمخصص، 2/9، (باب ذكر السّماء والفلك).

[3]- الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص11 وابن قتيبة: أدب الكاتب، ص 85 والتكملة، ص 140 وابن سيده: المخصص، 3/9، (باب ذكر السّماء والفلك).

[4]- القاموس المحيط، 318/1، مادة (صَعِدَ).

[5]- المصدر السابق، 129/1، مادة (الكَعْبُ).

[6]- جمهرة أشعار العرب، ص7 ومن كتاب الأوائل،ص 427 والقاموس المحيط، 242/1، مادة (الصرح). (الصرح).

[7]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، 85/5، مادة (قزل) والقاموس المحيط، 38/4، مادة (القزَلُ) ولسان العرب، 556/11-557، مادة (قزل) ويوازن مع ما جاء في: ابن سيده: المخصص، 111/3-112، (باب التبختُر) و(باب مِشْيَة المقيَّد والمقطوع الرِّجْل ونحوهما).

[8]- المخصص، 111/8.

[9]- المصدر السابق، 59/2.

والغريب في الأمر أنّ هذا المعنى قد تداخل مع كلام ساقه ابن سيده دليلاً على تساوق فكره عرّف به ما كان حقّه أن يتقدّم وهو لفظ "العُرْجَة" بقوله نقلاً عن كتاب العين: "صاحب العين:العُرْجَةُ: مَوْضِعُ العَرَجِ من الرِّجْلِ. وجمعُ الأعْرَجِ عُرْجانٌ "[1]. فابن سيده يرى أنّ العَرَجَ حالةٌ عَرضيّةٌ غيرُ خِلقيّة، لا يمكنها أن تجتمع مع صفة خِلقية وهي دقّةُ السّاقيْن، وقد وجد ما يدلّل عليها بدقة عند أبي عبيد القائل في(صفات السّاق):"الكَرَعُ: دِقّةُ السّاقيْن، رجُلٌ أكْرَعُ وامرأةٌ كَرْعاءُ، وهو دقيقُ مقدَّم السّاقين، وقد كَرِعَ كَرَعاً"[2].

وجاء في (باب أسماء أوّل ولد الرّجل وآخرهم) من المخصّص قول أبي عبيد (ت 224هـ): "بِكْرُ أبَوَيْه: أي أوّلُهما وكذلك الجاريةُ بغير هاءٍ وجمعُها أبْكارٌ. قال صاحب العين: بِكْرُ كلّ شيءٍ أوّلُهُ، وقد يكن البِكْرُ من الأوْلادِ في غير النّاس كقولهم بِكْرُ الحيّة"[3]. وقال" أبو عليّ (القالي): ويستعملُ الطّفْلُ في كلّ ما تشعّبَ من مُعظم الشّيء وما دقّ من أجزاء الشيء فهو طِفْلٌ وأنشد:

يَضُمُّ إليَّ اللّيلُ أطفالَ حُبِّها كما ضَمَّ أزْرارَ القميصِ البَنائِقُ[*]

وقال "صاحب العين: الطَّلَى: الولد الصغير من كلّ شيء حتى شبّه العجّاج رمادَ المَوْقِدِ بين الأثافي[*] بالطّلى بين أمّهاتِه فقال: [4]

* طَلَى الرَّمادِ استُرْئِمَ الطَّلِيُّ* [*][5]

---

[1]- المصدر السابق، 59/2 والعين، 223/1، مادة(عرج).

[2]- المخصص، 54/2.

[3]- المخصص، 30/1 والغريب المصنف، ص 384، (باب أسماء أوّل ولد الرّجُل وآخرهم) وينظر: تهذيب إصلاح المنطق، ص 67 والعين، 364/5، مادة (بكر).

[*] البَنائق: جمع بَنيقة وهي لِبنةُ القميص التي فيها الأزْرارُ أوهو جُرْبّانُهُ (أي جيبُه) وهو فارسيّ معرّب. ينظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجِنان، ص 164 والقاموس المحيط، 222/3، مادة (البنيقة) وفائت الفصيح، ص 70.

[*] الأثافي: جمع أثْفِيَة، وهي الحجارة التي توضع تحت القِدر. ينظر: القاموس المحيط، 3/ 120، مادة (الأثفية).

[4]- ديوانه، 312/1.

[*] الطَّلِيُّ: الصغير من أولاد الغنم ، وإنّما سمّي طليّا لأنّه يُطلى، أي تُشَدُّ رجلُهُ بخَيْطٍ إلى وَتَدٍ إيّاما. وجمعه طلَيَانٌ. ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 2314، مادة (طلا) وتهذيب إصلاح المنطق، ص 777.

[5]- المخصص، 32/1 وينظر: العين، 428/7، مادة، (طفل) 452/7، ولسان العرب، 401/11-402، مادة مادة (طفل) و12/15، مادة (طلي) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1751، مادة (طفل) وقد جاء فيه: "وولد كلّ وحشية طفلٌ أيضاً"، وص 2314، مادة (طلا) والفرق لابن فارس، ص 82. وقد جاء فيه: "وولدُ كلّ وَحْشِيَةٍ: طلا ". تهذيب إصلاح المنطق، ص 67، 777.

وجاء في (كتاب الحشرات) من المخصص قول "الأصمعي": الخَشَاشُ: الشِّرارُ من كلّ شيءٍ وخصّ بعضُهم به شِرَارُ الطَّيْر وما لا يَصيدُ منها، وقيل: هي من الطَّيْر ومن جميع دَوَابّ الأرض ما لا دِماغَ لها كالحُبَارى(*) والكَرَوان(*) ومُلاعِبِ ظِلِّه(*)"[1].

وأمثلة هذا النوع من التطور الدلالي في اللهجات العربية كثيرة منها:تخصيص كلمة "الطهارة" لمعنى" الخَتَان" في أذهان النّاس، وتخصيص كلمة "الحريم" للدلالة على النّساء بعد أن كانت تطلق على حمى محرم، أو الذي حُرِّم مَسُّه أولمسهُ فلا يُدْنَى منه[2].

ومن الأمثلة التي جات في كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان من هذا النّوع : قصرُ العامّة "الإسْكافُ" أو "الأسْكَفُ" أو "لأسْكُوفُ" على الخَرّاز مع أنّه في لغة العرب لفظ شامل لكلّ صانع عند العرب[3]. كما أنّهم يعمدون إلى قصر "السُّوقة" على أهل الأسواق خاصة، وإنّما السُّوقة في حقيقة الأمر لكلّ من لم يكن ذا سلطان، أي دون عِلِيَة القوم[4]. ومثل هذا الضربّ من التضييق يكون عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص مثل (Traire) التي دلّت في الأصل على معنى"الجَلْب " عامّة "Tirer"، ثمّ خصّصت دلالتها في "الحَلْب" أي جلب الحليب من ضرع الحيوان. وكذلك (Viande) التي كان تطلق قديماً على "المواد الغذائية) "Vivres ,toute espèce de nouritures"، صارت تطلق على (لحم الحيوانات المعدّة للنّحر)"Chair des animaux de boucherie "[5].

(*) الحُبارى: طائر بعِظَم الدِّيك العظيم كثيرةُ الرِّيش ومنها بيضاءُ وكَدْرَاءُ وحمراءُ مُشْرَبَةُ الحُمْرة لا طويلة الرِّجْلَيْن ولا قصيرتُهُما طويلة العُنُق والذّنب تبيضُ بيضاً من نحو بَيْض الدَّجاجة، وهي دجاجة البَرّ زعموا أنّها تأكلُ كلّ شيءٍ حتى الخَنَافِس. ينظر: المخصص، 158/8.

(*) الكَروان: عصفور بعِظَم الدَّجاجة غير أنّه أبسطُ وأطوَلُ عُنُقاً وأطوَلُ رِجْلَيْن، رأسُه بعِظَم رأس الدَّجاجة وزِمِكَّاهُ (منبتُ ذَنَبه) قصيرةٌ وعيْناهُ زرقاوان. وزعموا أنّ الحَجَل فِراخه. وهو أحْمَقُ طائر، يُقال: "أطْرَقُ كَرَا يُحْلَبُ لك"على المَثَل ويُضربُ للأحمق تمنّه البَاطِلَ فيصدِّق، وجمعه كَرَوَانات وكِرْوَاناً على غير قياس. ينظر: المخصص، 155/8 والمعجم الوسيط، 400/1، مادة (زَمَكَ) ومجمع الأمثال، 432/1.

(*) مُلاعِبُ ظِلِّه: طائرٌ، واسمه دالٌّ عليه. ينظر: لسانُ العرب، 419/11، مادة (ظلل).

1- المخصص، 91/8 وابن منظور، لسان العرب، 296/6، مادة (خشش) وينظر: قطرب، الفرق لقطرب، ص 216-219، (باب من خشاش الأرض).

2- التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص 116 ومعجم مقاييس اللغة، 46/2، مادة (حرم).

3- ابن مكي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص 173 والمخصص، 3/17 وفائت الفصيح، ص 58 وينظر: جمهرة اللغة، 378/3، (باب ما جاء على أفْعُول).

4- تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان، ص 175.

5- Christian Bylon-Xavier Mignot. Sémantique du Langage-Initiation-,p215.

إنّ دراستنا لبعض نماذج التخصيص في كتب اللغة ومعاجمها أوقفتنا على أنّ التخصيص الدلالي ضرورة لغوية اقتضتها متطلّبات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة للمجتمع العربي الإسلامي بما يحقّق الآصرة بين معاني الألفاظ اللغوية المطلقة السابقة ظهوراً وبين معانيها الاصطلاحية المكتسبة والمخصّصة دلالياً. على أنّ إدراك الدلالة الخاصّة أيسر من إدراك الدلالة الكليّة التي يقلّ التعاملُ بها في الحياة العامّة وبين جمهور النّاس. فالفلاسفة وأصحاب العقول الكبيرة هم وحدهم المشغوفون بتلك الألفاظ الكلّية في تفكيرهم وتأمّلاتهم. والنّاسُ في حياتهم العامّة ينفرون عادةً من تلك الكلّيات التي لا وجود لها إلاّ في الأذهان، ويؤثرون الدلالات الخاصّة التي تعيش معهم، فيرونها ويسمعونها ويلمسونها. ولذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها في حياةٍ أكثرُ ما فيها ملموسٌ محسوسٌ. وهم لقصور في الذهن أحياناً، أو بسبب الكسل والتماس أيسر السُّبُل حيناً آخر، يعمدون إلى بعض تلك الدّلالات العامّة ويستعملونها استعمالاً خاصّاً، فيقدّر لمثل هذه الاستعمالات في الدّلالة أن تشيع وتنتشر بين جمهور النّاس؛ فتتطوّر بذلك دلالات الألفاظ من العموم إلى الخصوص، ويضيق مجالها، وتقتصر على ناحية منها. وذلك هو العَرَضُ الذي نسمّيه بـ" تخصيص الدّلالة، وهو الذي يصيبُ كثيراً من ألفاظ اللغات في العالم[1].

الخلاصة :

وبعد، فلسنا بحاجة إلى تأكيد حقيقة مفادها أنّ الحديث عن المصطلح يفصح عن جانب هامّ ومصيري من حياة اللغة العربية. هذه اللغة التي لا يمكن أن تكتب لها الحياة ويدوم بقاؤها، مهما بلغت من الغنى، إلاّ باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها والنّاطقين بها، ووصل حاضرها بماضيها.ويلاحظ الدّارس حين ينظر في تراث العرب المصطلحي، أنّ العرب فاقوا غيرهم في العناية بالمصطلح، إذ تعدّدت طرقهم المنهجية في هذا المجال حتىّ كادت تستنفذ جميع الاحتمالات تعميما وتخصيصاً وإطلاقاً وتقييداً. لذا نرى أنّه آن لنا بعد هذا الذي سقناه دليلا على تساوق اللغة مع الفكر عند الأسلاف، أن نتساءل عن جهل أبناء اللغة العربية الفصحى اليوم بلغتهم ما مفهومه؟ وما أسبابه؟ وما مظاهره؟ وما نتائجه وآثاره؟

[1]- دلالة الألفاظ، ص 153-154.

ثبت المصادر والمراجع

أ- العربية :

** المصحف الشريف.
* أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وتعليق وفهرسة محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1406هـ-1986م.
* الأزمنة وتلبية الجاهلية لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1985م.
* أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ - 1979م.
* الأسس اللغوية لعلم المصطلح، لمحمود حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، دت.
* الاقتراح في أصول النحو، تصحيح عبد الرحمن بن يحيي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، 1359م.
* الأمالي في لغة العرب، لأبي علي إسناعيل القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ - 1978 م.
* تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خَلَف بن مكّي الصّقليّ، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عَطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1410 هـ-1990م.
*التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، لرمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،ط1، 1404هـ- 1983م.
* التعريفات، لأبي الحسن علي الشريف بن محمد الجرجاني، ضبط وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
* التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي لأبي علي الحسن بن أجمد الفارسي، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1984 م.
* تهذيب إصلاح المنطق، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1403هـ-1982م.
* جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1398هـ-1978م.

* جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، دار صادر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط1، 1345هـ.
*الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2 صورة، دت.
* دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1962م.
* ديوان امرئ القيس، دارصادر، بيروت، دت.
* ديوان العجّاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السّطلي، مكتبة أطلس، دمشق، دت.
*رسالتان في اللغة، منازل الحروف - الحدود،لأبي علي الحسن بن عيسى الرمذاني، تحقيق وتعليق وتقديم إبراهيم السّامرّائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1984م.
* سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، ط1، 1985م.
* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414 هـ- 1993م.
* الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1404هـ- 1984م.
* العبارة (وهو كتاب في المنطق)، لأبي نصر الفارابي، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب، 1976م.
*علم اللغة بين التراث والمعاصرة، لعاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.
* علم اللغة وفقه اللغة، لعبد العزيز مطر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، الدار التونسية للنشر، دت.
* عوامل التطور اللغوي دراسة في نموّ الثّروة اللغوية، لأحمد عبد الرحمن حمّاد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983م.
* العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد،تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980م.
* الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط1، 1989م.

* فائت الفصيح، لأبي عمر بن عبد الرحمن الزّاهد (غلام ثعلب)، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، مطبعة السّعادة، ط2، 1406هـ-1986م.
* الفرْق، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط1، 1402هـ-1982م.
* الفرْق، لثابث بن أبي ثابت، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
* الفرْق، لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب، تحقيق ودراسة صبيح التميمي ومحمد علي الرديني، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، سنة 1995م.
* فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، لمحمد المبارك، دار الفكر، ط5، بيروت، دت.
* فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق سليمان سليم البواب عن دار الحكمة للطباعة والنشر بدمشق سنة 1404هـ-1984م.
* القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت.
* الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م.
* الكلّيات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أعده للطبع عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975م.
* لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، لعبد العزيز مطر، دار المعارف، ط2، 1401هـ-1981م.
*لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، دت.
* المخصص، لأبي الحسن علي بن سيده، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1317هـ-1321هـ.
* المدخل إلى فقه اللغة العربية، لأحمد محمد قدّور، منشورات مديرية الكتب والمطبوعات بجامعة حلب، 1412 هـ - 1991 م.
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دت.
* معجم المصطلحات النحوية والصرفية، لمحمد سمير نجيب اللّبدي، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ-1986م.

* معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.

* المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد دار الفكر، بيروت، دت.

* المقدمة، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ-1996م.

* مجمع الأمثال، لأبي الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،منشورات دار النصر، دمشق، بيروت، دت.

* من كتاب الأوائل، لأبي هلال العسكري، اختار النصوص وقدّم لها وعلّق عليها محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1984م.

ب- الأجنبية :

- Christian Bylon-Xavier Mignot, Sémantique du Language-Initiation-éditions Nathan, Paris, 1995.